معمَّر الإسلامي المسكون
بـ «حزب الله» قبل 45 سنة

(الحوار الأول من حلقتيْن معه في ظل أجواء الشريعة والزكاة)

اللقاء الأول لفؤاد مطر مع العقيد معمر القذافي
(نوفمبر/تشرين الثاني 1971)

... والصورة الرسمية الأولى له
مع إهداء إلى فؤاد مطر.

AUDEMARS PIGUET
أوديمار بيجيه
الوكيل العام: أحمد يوسف يحيى ساتي
معرض اوسيجا - جامعة الصفاة • الصالة: الشارع الرئيسي
AP

السياسة

الثلاثاء ٢٨ رمضان ١٣٩١ هـ الموافق ١٦ نشرين ثاني ١٩٧١ م - السنة السادسة - العدد ١٢٣٤ - الثمن ٥٠ فلسا
AL-SEYASSAH — TUESDAY, NOVEMBER 16, 1971 — 6TH YEAR NO. 1234 — PRICE: 50 FILS

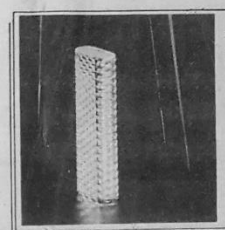
الولاعة المكفولة مدى الحياة
BRIQUET
Cartier
PARIS
٢٥ موديلاً مذهباً وفضياً

في مقابلة خاصة بالسياسة والنهار.. أجراها فؤاد مطر قبل السحور في مقار القيادة بطرابلس

القذافي

بموجب اتفاق خاص مع « النهار » اللبنانية قائم على تبادل الانجازات الصحافية المنفردة تقوم « السياسة » اليوم ، في بداية وضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ ، بنشر هذه المقابلة الخاصة والمثيرة مع الرئيس الليبي معمر القذافي اجراها فؤاد مطر بمقر القيادة بطرابلس. المقابلة تنشر اليوم في السياسة والنهار في نفس الوقت .

طرابلس ، ليبيا — من فؤاد مطر

في عهد النبي محمد حدثت واقعة . جاءت النبي سيدة تدعى الغامدية (من قبيلة غامد) وقالت له : لقد زنيت يا رسول الله فاقم علي الحد ليطهرني فيغفر الله لي. فراد ان يتثبت برغم هذا الاعتراف فقال لها : لعلك لامست او لعلك قاقلت » ورددها كذلك مرات ، وهي تصر على الاعتراف . وقالت في الثالثة : لقد زنيت يا رسول الله واني لارى حبلى بذنبي في بطني ، فقال لها : اذهبي حتى تلدي ، فلما ولدته جاءه به فقال لها : اذهبي حتى يتم رضاعه وفطمه ، فجاءه بعد ذلك بصرة على اعترافها واقامة الحد ، فاخذ الطفل وسلمه لمن يحضنه ثم امر بها فرجمت حتى ماتت . والمشرف في الرجم عمر بن الخطاب الذي كان شاهدا هذا الحوار بين النبي محمد والسيدة الغامدية . وقد امسك عمر حجرا كبيرا ورمى به الغامدية قائلا : خذي ايتها الزانية . عندها قال النبي محمد : لا تعجل هذا يا عمر . لقد تابت توبة شهدتها ملائكة السماوات والارض . والله غفر الله لها لانها آثرت ان تفتدي نار الاخرة بعقوبة الدنيا التي امر بها الله .

والرهم هو من العقوبات التي امر بها الاسلام تنزل على من يزني الا ان الفقهاء اشترطوا اخذا من الكتاب والسنة النبوية ان جريمة الزنى حتى تثبت الا بشهادة اربعة شهود عدول ليس من بينهم الزوج او الزوجة يشهدون بانهم رأوا عربة الواقعة الجنسية بنوع فعم التكسورة من الرجل في مقر الاثرة كما يدخل الرود في المكحلة » .

ربما دار تواقم تلك العملة وأولئك الشهود امرا صعبا بل مستحيلا لان المسألة تصبح مسألة تستر واعتراف . ولقد جاءت الغامدية تعترف لان تستر ما مذنبا بحدما زنت وهمت مقاما .

وليست في التاريخ الاسلامي واقعة مماثلة لواقعة الغامدية . وهي على الارجح الواقعة الوحيدة المرجوعة في التاريخ الاسلامي .

قواعد القصاص العادلة الامثلة في القرآن في [illegible] والسنة والشيوع فقاص « لا ان عاقلة أية في القرآن تقع على المتهم

○ مش فاضي نزور روسيا

○ لن نستطيع شن الحرب الآن على إسرائيل

ذلك لم يأتي احد بالسارق القاتل او بالمحاربين القتلة . عندما اعتمد عبد العزيز قاعدة القصاص فقطع اجزاء كثيرين من رجال مسلكي ذلك الدمار . وبعد ذلك الواقعة والى الآن تحدث أيدي نحو ١٢ رجلا مرتكبا . وسبب حملة تخليص الأيدي هذه اصبح المواطن في السعودية آمنا حقيقيا لا يخاف ان يسرقه احد . واذا كان تقطع أيدي السارق من قواعد القصاص التي ارضى بها الاسلام فان الزكاة هي من الاصول الخمسة في الاسلام وهي التالية بعد الشلاتة . ولا يكمل اسلام المرء الا بهذه الدعائم . وللتدليل على ان الزكاة تحل تالية في الاهتمام بها جاء في احدى الآيات الواحدة الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » . بالرغم من ذلك فان هذه الفريضة بالذات والمتلك لا ان نبيا الآن عاما واضحا عليه ذلك . وفوزيه الانباك بالسبب دينيا تجه بعضنا في شهر رمضان .

الثقة بالوزيرين الجديدين اليوم أمام مجلس الأمة

الوضع الوزاري الجديد يواجه احتمالات تهريب النصاب

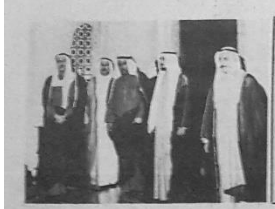

الوزيران الجديدان بعد ادائهما اليمين الدستورية امام سمو الامير .

● خاص

ستكون جلسة مجلس الامة اليوم هامة للغاية حيث سيختم وزيران جديدان طلب الثقة من المجلس . المهم ان يكون الوزيرين في نظر الغالبية في المجلس تطبق عليهما المادة ١٢١ من الدستور التي تمنع دخول ذوي الرغبات تجارية الوزارة . ومعنى الرقم من ان التكتل الذي برز في بداية الدورة قد هدأ حيث هو تكتل الا ان عناصره الوزارية التي تحد هذه الثقة ، اي تحرك المادة ١٢١ تدير مصالح هؤلاء الوزراء . والذا صالحة في الحساب بان الحكومة اذا كان لا بحق لها التصويت على الثقة بوزيرها فان احتمال تجميع الغلبة ضد هؤلاء الوزراء الجدد قد تكون واردة ، ومن ثم ربما يكون هناك نوع من التفاهم بين هؤلاء الوزراء الجدد وعدد الوزراء الآخرين الذين ربما شعروا استقالتهم على قرار ما هيئت للوزارة السابقة التي استقالت المجلس والتي شهد سقوطها عدد من النواب المدلين .. والمعروف ان هذه التكتلات النيابية الفيروزت في بداية الدورة ثم تخلف رفاقها عن استقالة الحكومة التي جاءت تهديدا لمواضيع بالتجار المادة ١٢١ من الدستور ضد أي تقدم جديد للوزارة لتطبق عليه هذه المادة ، والمعروف ان استخدام استقالة الوزارة كان من

تساقط الكتل النيابية في منتصف الليل

● السياسة الثانية مشرقة ليلا — خاص شقت الاتصالات النيابية في كتلا التكتلين ، هيئة عقد اجتماع في مكان لم يعرف لغير فيه ان عدم التشاور في الصباح حول وضع الثقة . علما كان اعضائها سيحلل الجلسة ثانية مناسب هيئة مكتوم بحقائقه تتطابق لاقرار الوزراء الخاصة بالوزارة . الا ان ما

الحلقة الأولى من الحوار

في عهد النبي محمد صـلَّى الله عليه وسـلَّم حدثت واقعة. جاءت النبي سـيدة تدعى الغامدية (من قبيلة غامد) وقالت له: لقد زنيتُ يا رسـول الله فأقم عليَّ الحد ليطهِّرني فيغفر الله لي. فأراد أن يثبِّت برغم هذا الإعتراف فقال لها: لعلك لاعبتِ أو لعلك فاخذتِ، وردَّدها ثلاث مرات، وهي تصبر على الإعتراف. وقالت في الثالثة: لقد زنيتُ يا رسول الله وأثر الزنى جنين يتحرك في بطني، فلما ولدتْه جاءته به فقال لها: إذهبي حتى يتم رضـــاعه ويفطم، فجاءته بعد ذلك مصرة على إعترافها وإقامة الحد، فأخذ الطفل وسلَّمه إلى من يحضنه ثم أمر بها فرجمت حتى ماتت. وأشترك في الرجم عمر بن الخطاب الذي كان شـاهداً على هذا الحوار بين النبي محمد والسيدة الغامدية. وقد أمسك عمر بحجر كبير ورمى به الغامدية قائلاً: خذي أيتها الزانية. عندها قال النبي محمد: «لا تفعل هذا يا عمر. لقد تابت توبة شهدتها ملائكة السموات والأرض، ولقد غفر الله لها لأنها أرادت أن تفتدي نار الآخرة بعقوبة الدنيا التي أمر بها الله». والرجم هو من العقوبات التي أمر بها الإسـلام تنزل على مَن يزني، إلاَّ أن الفقهاء أشـترطوا أخذا عن الكتاب والسُـنة النبوية أن جريمة الزنى مثلاً «لا تثبت إلاَّ بشـهادة أربعة شـهود عدول ليس من بينهم الزوج أو الزوجة يشـهدون بأنهم رأوا جريمة المواقعة الفعلية بولوج عضو الذكورة من الرجل في عضو الأنوثة كما يدخل المرود في المكحلة». وما دام توافُر تلك الحالة وأولئك الشـهود أمراً صـعباً بل مسـتحيلاً فإن المسـألة تصـبح مسـألة ضـمير وإعتراف. ولقد جاءت الغامدية تعترف لأن ضميرها عذَّبها بعدما زنت وحملت سفاحاً.

وليس في التاريخ الإسـلامي واقعة مماثلة لواقعة الغامدية. وهي على الأرجح الزانية الوحيدة المرجومة في التاريخ الإسـلامي. وقواعد القصـاص العامة الأصـلية في القرآن هي «النفس بالنفس والعين بالعين والسـن بالسـن والجروح قصاص» إلاَّ أن هنالك آية في القرآن تفتح باب العفو وهي «فمن عفا وأصلح فأجره على الله».

وإذا أخذْنا بقواعد القصـاص فإن الواجب يقتضـي قطْع يد السـارق. وفي التاريخ الإسـلامي قطعت أيدي سـارقين كثيرين إلاَّ أن ذلك كان يتم في حالات التدهور الإقتصـادي بدليل أن عمر بن الخطاب أوقف قطْع أيدي من يَثبُت أنه سـرق مال غيره طوال سـنة المجاعة في المدينة. وإلى الآن لا يزال مثل هذا القصـاص سـاري المفعول في المملكة العربية السـعودية. وكان للملك عبد العزيز ما يبرر له إنزال هذا النوع من القصـاص بالسـارقين حيث أن مكامن كثيرة نُصـبت لحجاج كانوا متوجهين في قوافل لتأدية فريضـة الحج. وكان ناصـبو المكامن يقتلون هؤلاء الحجاج وينهبون جمالهم وأموالهم. وقد حذَّر عبد العزيز من هذا الأمر كثيراً ولم يرتدع قطاع الطرق هؤلاء إلى أن كان يوم قُتل فيه عدد من الحجاج ونهبت جِمالهم وأموالهم، فتوجه عبد العزيز إلى مكان الحادث وقال مخاطباً سـاكني تلك الديار: أريد الذي سرق وقتل. ولم يتقدم أحد، كذلك لم يشِ أحد بالسارق القاتل أو بالسارقين القتلة. عندها إعتمد عبد العزيز قاعدة القســامة فقطع أيدي كثيرين من رجال ســاكني تلك الديار. ومنذ تلك الواقعة وإلى الآن قطعت أيدي نحو 17 رجلاً سرقوا. وبسبب حملة تقطيع الأيدي هذه أصبح المواطن في السعودية آمنا مطمئناً لا يخاف أن يسرقه أحد. وإذا كان قطْع يديْ السارق من قواعد القصاص التي أوصى بها الإسلام فإن الزكاة هي من الأصول الخمسة في الإسلام وهي الثانية بعد الصلاة. ولا يكتمل إسلام المرء إلاَّ بهذه الدعائم. وللتدليل على أن الزكاة تحل ثانية في الدعائم ما جاء في

إحدى الآيات «وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وإركعوا مع الراكعين».

إستباق مبكر لصيغة «حزب الله»؟

لماذا مثل هذا التذكير وتلك الإشارات والأمثلة؟ لأن ليبيا الآن حُكْماً وشعباً منهمكة في ذلك. وتوقيت الإنهماك مناسب دينياً لأنه يحدث في شهر رمضان.

حكم العقيد معمَّر القذّافي قرر العودة إلى الأصول الإسلامية. قرر فرْض الزكاة وتنظيمها. وقرر أيضاً إعادة النظر في القوانين المعمول بها الآن وتعديلها بحيث لا تتناقض أحكامها مع مبادىء الشريعة الإسلامية. وهذه الخطوات جاءت بشكل مفاجىء وأُعلنت في وقت واحد بحيث أحدث إعلانها لغطاً في صفوف الليبيين، وخاصة ما يتعلق بالزكاة التي تشمل ما يملكه المسلم من ذهب وفضة وأوراق نقْد وأسهُم وسندات وأموال عينية وأنعام. وسبب اللغط أن الليبي يدفع للدولة ضرائب كثيرة تعتبر نسبتها أعلى نسبة يدفعها مواطن لحكومته. فإذا كان الليبي سيدفع فوق ما يدفعه فمعنى ذلك أن وضْعه المالي مرشح للإهتزاز.

والحديث عن القوانين المطلوب مراجعتها بحيث لا تتناقض أحكامها مع مبادىء الشريعة الإسلامية، والزكاة التي صدر قانون بإعادة فرْضها، هو أكثر الأحاديث إنتشاراً بين الليبيين. الإذاعة تتحدث عن هذه الخطوات. والصحف تعالج هذه الخطوات وتبشر به وتوضح أهدافها حتى أن التفكير المبطَّن هو أن يصبح الموضوع عقائدياً. كيف؟ إذا كانت الإشتراكية عقيدة ولها أصولها وأحزابها فما الذي يمنع أن تتحول الدعوة القائمة الآن في ليبيا بالعودة إلى الأصول الإسلامية عملية عقائدية لها حزبها. وإذا كان القيّمون على الأحزاب الإشتراكية وغيرها في العالم رجالاً من لحم ودم فإن لدى الليبي أو بكلام أدق لدى الأكثرية الليبية المتدينة قناعة بأن العودة إلى الأصول إنما هي مسعى لإحياء الحزب الأكثر أصالة وأهمية، أي حزب الله، عملاً بالآية «إلاَّ أن حزب الله هم المفلحون». والأكثرية الليبية تعتقد أنها بتمسكها بالأصول إنما تكرس مفاهيم «حزب الله» الذي تعاليمه الإسلام.

وفي كل يوم محاضرة أو ندوة حول الإسلام والشريعة والزكاة التي أعيد فرْضها والقوانين التي ستتم مراجعتها. وإذا كان الملك فيصل أُثلج صدره بأن العقيد القذّافي قرر إعادة فرْض الزكاة ومراجعة القوانين بحيث لا تتناقض أحكامها مع مبادىء الشريعة الإسلامية، فبعث إليه ببرقية يبارك فيها الخطوات، أُذيعت في طرابلس يوم 4 نوفمبر/تشرين الثاني 1971، فإن في ليبيا أفكاراً يجب التوقف عندها قليلاً لأنها توضح أبعاد الخطوات الإسلامية المستجدة. ومن هذه الأفكار واحدة طرحها الشيخ محمود صبحي أحد رجال الدين الذائعي الصيت في ليبيا والذي له ثارات كبيرة على الحُكْم الملكي السابق الذي سجنه لئلا يفوز في الإنتخابات النيابية. وقد عرض الشيخ محمود، وهو للمناسبة يمثل الشريعة في «محكمة الشعب» التي تحاكم رجال العهد الماضي، فكرته في مقال نشرته صحيفة «الثورة» يوم الإثنين 8 نوفمبر/تشرين الثاني. وجاء في المقال: «... ولا عجب أن يكون الإسلام عميق الجذور في ليبيا على وجه الخصوص، إذ أنه بقليل تأمُّل يتضح أن التكوين العمراني والحضاري للوطن الليبي قريب الشبه بنظيره الذي نزلت فيه الرسالة على النبي الكريم. فكما إحتضنت شبه الجزيرة العربية نور الإسلام في أول عهده، وإنطلق منها شعاعاً يضيء العالم قاطبة فإن الوطن الليبي مهيأ ومدعو أيضاً وبالدرجة والصلاحية ذاتهما لكي يحتضن حركة إحياء حضارة الإسلام كي تنطلق منه قوية غلاَّبة تُبدد ظلام المادية الذي إنتشر في هذا العالم. وفي ضوء هذا التحليل نستطيع أن نفهم قرارات مجلس قيادة الثورة، الأخير، بإعادة مراجعة قوانين الدولة على أساس قواعد الشريعة الغَّراء».

اول حوار مع رئيس مجلس قيادة الثورة بعد "التفرغ"

القذافي: بعض المصريين مسؤولون عن خلافي مع السادات

عملية كريات شمونه كانت مطلوبة من زمان

فؤاد مطر من ليبيا

عاد فؤاد مطر من ليبيا باول حديثين صحافيين مع العقيد معمر القذافي والرائد عبد السلام جلود ، بعد انباء التغييرات الاخيرة التي جرت هناك .

العقيد القذافي تحدث عن مصر وسوريا وقضايا الوحدة وعن الحرب والتسوية ... وعن عملية كريات شمونه . لكنه تجنب الحديث عن التغييرات الاخيرة .

اما الرائد جلود فتحدث عن هذه التغييرات وعن دوافعها ، كما كشف امورا تتعلق بالعلاقات الليبية ـ المصرية .

وفي ما يأتي نص الحوارين :

جلود يستمع الى القذافي .

بعد اتمام الجماهير .

مع «الثوري المتصوف».. وتطبيق الشريعة

والقذّافي الذي وصلت إسلاميته وتديُّنه إلى حد أنه أصبح «ثورياً متصوفاً» يقف بكل قوته وراء موضوع الزكاة، ومراجعة القوانين. وفي بدء الأمر كان يفكر في إلغاء القوانين الوضعية وتطبيق الشريعة الإسلامية، أي بدل أن تُسجن الزانية أو الزاني بضعة أسابيع يتم رجْم كل منهما، وبدل أن يسجن السارق تُقطع يده... وقس على ذلك. وقد إستطاع تعزيز هذا الإتجاه بين رفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة، إلاَّ أن رئيس المحكمة العليا المستشار علي علي منصور، وهو مصري سبق أن شغل في بلاده منصب وكيل مجلس الدولة ورئيس محكمة الإستئناف، إستطاع أن يُبسِّط الأمور بما له من رصيد لدى القذّافي بحيث تبقى القوانين الوضعية كما هي مطَّبقة كذلك المحاكم، ويصدر قرار من مجلس قيادة الثورة بمادة واحدة ينص على الآتي: تُطَّبق الأحكام القطعية في الشريعة الإسلامية من الآن فصاعداً في جميع التشريعات. وتشكل لجان للبحث في القوانين الوضعية. والمستشار علي منصور، وهو على أبواب الثمانين، رجل ثقة وموسوعة علمية وليس من المبالغة القول إنه العقل الروحي للعقيد القذّافي. إلاَّ أن الزكاة ومراجعة القوانين الإسلامية ليستا كل ما يشغل بال القذّافي الآن ومنذ قام بثورة الأول من أيلول 1969، وأنه لا بد من مقابلته للوقوف على ما يدور في رأس أصغر الحكام العرب سناً واكثرهم إنسجاماً مع نفسه حيال أي مفهوم أو رأي أو معتقدات يؤمن بها.

في مكتب «الأخ العقيد»

نظام تحديد المقابلات ليس وارداً.

فجأة يتقرر موعد المقابلة وقبل منتصف ليل الأربعاء – الخميس (15 نوفمبر/تشرين الثاني 1971) بدقائق رن الهاتف في غرفتي. قال المتحدث إنه يتكلم من مجلس قيادة الثورة وأن العقيد القذّافي سيستقبلني بعد دقائق ويجب أن أكون جاهزاً خلال ثوان.

بعد ربع ساعة من مغادرتي الفندق كنت في مبنى مجلس قيادة الثورة في باب العزيزية. وأنه أحد أبواب طرابلس التي بناها الأتراك ليتحصنوا وراءها. مبنى كبير متواضع وهو عبارة عن ثكنة كبيرة.

كانت نسمة باردة بدأت تلف جو طرابلس المتقلب يرافقها صمت مطبق برغم أنني في ثكنة كبيرة. التهذيب سمة أساسية في الجنود والضباط الذين سألوني ماذا أريد من المجيء إلى مبنى مجلس قيادة الثورة. وفي الوقت الذي تولَّى أحدهم الإتصال بمن هم أعلى منه ليُبلِّغ عن وصولي كنت أقف أمام لوحة نصبت على الباب الداخلي لمقر «مجلس قيادة الثورة» وسط شجيرات صغيرة وكتبت عليه الآية الثالثة عشرة من سورة الكهف «بسم الله الرحمن الرحيم. إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. صدق الله العظيم».

في هذه الأثناء خرج «الفتية». كانوا مجموعة من أعضاء «مجلس قيادة الثورة» بعدما أنهوا إجتماعاً برئاسة القذّافي إتفقوا خلاله على وضْع بيان يتعلق بمتطلبات ليبيا حيال المعركة على أساس أن الموقف يحمل على الإفتراض أن الشهريْن المقبليْن قد يشهدان معركة أو معارك صغيرة أو كبيرة.

في الطبقة الثانية مكتب العقيد القذّافي. إنتظرتُ خمس دقائق في مكتب النقيب الريفي الشريف الأمين العام لـ «مجلس قيادة الثورة». كان يرتدي ثياباً مدنية بسيطة. وكان المدني الوحيد الذي رأيته في المبنى تلك الليلة. ثم دخلتُ مكتب العقيد القذّافي. لا وجود للفخامة في هذا المكتب. في منتهى البساطة وعلى الطاولة التي يعمل من ورائها العقيد أوراق وملفات. كان في ثياب الميدان. نادراً ما يبدلها بثياب أخرى ما دام في المكتب وهو بإستمرار لا يغادر المكتب إلاَّ لأمر مفاجيء أو مهم أو للسفر خارج ليبيا.

إنتقل العقيد إلى ركن في مكتبه وجلسنا للتحدث.

هل نبدأ؟

أجاب: لنشرب الشاي أولاً. وصل الشاي، وبدأ الحديث.

كان في ودي أن نبدأ الحديث بالتطورات المستجدة في ليبيا. بالزكاة والقوانين التي ستتم مراجعتها. لكن العقيد القذّافي بدأ الحديث عن لبنان وصحف لبنان. قال إنه يعرف «أن في لبنان صحفاً عدة لها مشارب عدة». وتوسع في الشرح: «إذا لم يكن للصحف اللبنانية إلتزام معيَّن ونهج معيَّن تخرج عن الحدود التي يُفترض ألاَّ تتجاوزها، وتصبح «هايدبارك حقيقية».

وروى لي كيف أن الرئيس السابق شارل حلو كان لطيفاً وطيباً وأخبره خلال الزيارة التي قام بها للبنان أن عدداً من الحكام العرب «يتضايقون بإستمرار من الصحافة اللبنانية».

لا يمين... ولا يسار... وضد التقليد

من الحديث الخاطف عن الصحافة اللبنانية و«الحرية التي يجب أن تكون لها حدود» إنتقل العقيد القذّافي إلى الحديث عن اليمين واليسار. لم أسأله شيئاً بعد. **قال: «لا نريد أن نكون تحت لواء المعسكر اليساري الذي تقوده روسيا ولسنا رجعيين لنسير في فلك المعسكر اليميني الرجعي الذي تقوده أميركا. نحن تقدميون وإنسانيون وثوريون ونرفض أن نكون في معسكر اليمين أو معسكر اليسار حتى لا نقع في صراع المحاور. نحن أيضاً ضد التقليد. لا يظنن أحد أننا نقلِّد».**

المقاومة الفلسطينية... والموقف المحيِّر منها

وقلت للعقيد القذّافي: هل يمكن أن نتحاور بصراحة؟

قال: بكل صراحة!

قلت: وهل تتضايق إذا أنتقدتُ بعض مواقفك؟

أجاب: ما دام النقد بناءاً فأنا أُرحب به.

عندها بدأت الجلسة تتخذ طابعاً مشوقاً. قلت للعقيد القذّافي: موقفك محيِّر من المقاومة الفلسطينية. أحياناً تصل بتصريحاتك إلى أنك ستحارب إلى جانب المقاومة، وأحياناً يصل هجومك على الملك حسين إلى حد الدعوة إلى إسقاطه، وفي بعض الأحيان تعلن أنك أنشأتَ مراكز تطوع في ليبيا للقتال مع الفدائيين ضد من يتصدى لهم: الملك حسين أو غيره. ثم تدعو إلى مؤتمر للملوك والرؤساء العرب وهو المؤتمر الذي عُقد في مطلع الصيف في طرابلس للبحث في إنقاذ المقاومة. ثم تنسب إليك عمان كلاماً قلته في حق الفدائيين وهو أنهم يسرقون الدجاج ولا يحاربون.

ورد قائلاً: قبل أن تكمل السرد أريد أن أحدد كلاماً ثابتاً وقاطعاً من موضوع المقاومة الفلسطينية. فنحن موقفنا واضح جداً وكنا أول من إنتقد المقاومة بشكل بنَّاء ودعاها إلى توحيد صفوفها. وفي هذا السبيل عملْنا كثيراً وتحدثْنا مع معظم قادة المقاومة، حتى مع جورج حبش. قلنا لهم إبتعدوا عن الصراعات يا جماعة ما قبل الثورة الإجتماعية التي ينادي بها جورج حبش ونايف حواتمة فكَّروا في الوحدة الوطنية. ما فائدة الإهتمام بالثورة الإجتماعية وأنتم خارج الوطن. حذَّرنا الجميع بعدما نصحناهم. وأخيراً قررنا حجب المساعدة عن المنظمات الإنشقاقية التي ترفض مبدأ الوحدة الوطنية وإقتصرت مساعداتنا على حركة «فتح» وبعض الشرفاء الآخرين من خارج «فتح» أمثال أحمد جبريل الذي يرئس تنظيم «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة». وهذا

الرجل أصله ضابط ممتاز، وقد أعطيناه أموالاً ليشتري سلاحاً لرجال تنظيمه ثم لأسباب عدة لم يتم ذلك فرد إلينا المال الذي أخذه منا. وعرضْـــنا على أحمد جبريل أن يحل تنظيمه ويندمج في حركة «فتح» فأبدى لنا بعض التحفظات، وحيال ذلك لم نناقشه إلاَّ أنه من العناصر الجيدة في المقاومة. نأتي إلى ما حدث بعد ذلك. عندما قام الملك حســين بالمجزرة وإكتســح المقاومة كان الموقف خطيراً جداً. ولم يكن طبيعياً أن يقوم جيش نظامي بحرب إبادة ضـد الفدائيين الشـرفاء. دعوتُ إلى مؤتمر طارىء يُعقد في أربع وعشـرين سـاعة لوقف المجزرة ولم أُوجِّه الدعوة إلى الملك فيصل لأنه يدعم الملك حسين. ظهر التخاذل والتقاعس وظهر من يقترح أن يسبق مؤتمر الملوك والرؤسـاء مؤتمر لوزراء الخارجية. هل هذا معقول؟ جماعات تُقتل في الأردن ويجب أن ننقذ ما يمكن إنقاذه وعلى وجه السـرعة، وبعض الحكام لا موقف عندهم إلاَّ القول: ليجتمع وزراء الخارجية أولاً. الحقيقة أن الحكام العرب لم يكونوا على مستوى التصدي. بالإضافة إلى عدم دعوة الملك فيصل فإنني لم أوجه الدعوة إلى حكام لبنان والمغرب والأردن. حسـين يذبح المقاومة وفيصـل يدعمه فكيف أوجه إليه الدعوة؟ ولبنان يجب أن نتحدث قليلاً عن موقف لبنان ولماذا لم أوجه إليه الدعوة. إن حكام لبنان يتصـــورون أن ما جرى في الأردن قد يجري في لبنان ذات يوم. وعندنا في ليبيا مثل شـعبي يقول «ما عمل الذيب ما يكره الكلب» أي ما عمله الذئب لا يكرهه الكلب. الذئب ضـد الكلب. وعندما يحاول الذئب إفتراس الشـــاة فالمفروض في الكلب أن يدافع عن الشـــاة لكن عندما تتم عملية الإفتراس فإن الذئب يأكل ما يأكله من الشاة، والكلب يأخذ نصيبه.

قلت للقذّافي: ولكن ما تقوله فيه تجن على حقيقة ما يجري في لبنان وعلى التعايش القائم بين النظام والمقاومة؟

وأجاب بشيء من الإنفعال: إنني لا أقول سوى الحقيقة. أنا لست ديبلوماسياً ولا أحب الأسلوب الديبلوماسي في معالجة الأمور المصيرية الأساسية. هناك عناصر في لبنان تقول بصوت عال أن إنتقال المقاومة إلى لبنان شـــر عليه. ما هذا المنطق غير القومي؟ المهم أنهم حيال هذا التقاعس إتصـــل بي الرئيس أنور وقال لي وجه الدعوة إلى الذين حضـــروا مؤتمر القاهرة ووقعوا الإتفاق في أيلول 1970، وبالفعل وجهتُ الدعوات فتهرَّب حكام لبنان وفيصـل لم يحضـر لأنني لم أذكر في دعوتي إليه كلمة صـاحب الجلالة. ثم عُقد المؤتمر وبعدما إنتهى قلت للإخوان الذين حضروا: يجب أن نصلّي صلاة الجنازة على المقاومة.

وقلت للعقيد القذّافي: لكنك أعلنت أن مؤتمر طرابلس إتخذ قرارات سرية؟ وأجاب: صـحيح، ومافعلته سـوريا من إغلاق حدود وأجواء كان من هذه القرارات.

وعدت أقول له: ولكن لم يتغير شـيء. كل شـيء على حاله. لا قراراتكم السرية أفادت ولا مؤتمراتكم الطارئة ولا الإنذارات والتصريحات.

وأجاب حزيناً: المقاومة مغلوبة على أمرها. ولن تغيّر الوضع إلاَّ معركة صغيرة.

سألتُه: وما هو الحل؟ ألا تفكر شخصياً في إستراتيجية معيَّنة تعيد إلى المقاومة بريقها وقوتها وفعاليتها، وما هو مصير المقاومة؟

وأجاب: لا أســتطيع أن أتنبأ بمصـــير المقاومة. لو أنني أنا الذي يقودها لكنتُ تنبأتُ مســتنداً في ذلك إلى حســابات على الورق ومعلومات أجمعها من هنا وهناك، إلاَّ أنه في أي حال يجب ألاَّ يقتصـــر العمل الفدائي على الفلسطينيين وحدهم. وإنني أدعو الأمة العربية إلى أن تستيقظ قليلاً، وأطالب كل دولة عربية بأن تزج بأفواج فدائية لمقاومة إسرائيل. ونحن في ليبيا بدأنا نفعل ذلك، ومنذ فترة ندرب متطوعين ليبيين لهذا الغرض وسنرسلهم...

إلى أين؟: سألتُ العقيد القذّافي.

وأجاب: عندما شعر حسين أننا سنرسل أفواجاً من المتطوعين لمساندة الفدائيين، أنهى المقاومة. إلاَّ أننا ما

زلنا نبحث عن طريقة ولن نعدم الوسـيلة. إن وقف إطلاق النار يجب ألاَّ يشـمل العمل الفدائي. هذا أمر يتعلق بالجيوش النظامية. إن الواجب العربي المُلِح الآن هو تنشيط الفدائيين وزجهم في الساحة لأن نشاطهم من شأنه أن يحكم على إسرائيل بعدم النمو وينغِّص عليها عيْشها. وهذا في أي حال عمل مرحلي إلى أن تصبح الأمة قادرة على تحرير فلسطين.

إن الحكام العرب الآن لا يستطيعون شن حرب على إسرائيل نتيجة لظروفهم. هناك حكام يواجهون ظروفاً داخلية وهناك آخرون يواجهون ظروفاً خارجية، لكن ما الذي يمنع، في إنتظار أن يصبحوا قادرين، أن ننشِّط العمل الفدائي؟ إنني أُعلنُ، بكل وضوح أن المطلوب هو قومية العمل الفدائي. نحن دعونا إلى قومية المعركة ونفي بإلتزاماتنا، وندعو الآن إلى قومية المعركة ونفي بإلتزاماتنا، وندعو الآن إلى قومية العمل الفدائي. وعلى هذا الأساس يجب أن ينطلق الفدائيون من لبنان وسوريا والأردن لمحاربة إسرائيل وتنغيص عيْشها وإشغالها وعرقلة نموها في إنتظار أن تصبح الأمة مستعدة لشن حملة عسكرية.

وقلت للعقيد القذّافي: لماذا لبنان وسوريا والأردن فقط؟

وأجاب: ومن الضروري أن تُزرع سيناء بالفدائيين.

سنة الحسم الساداتي سلماً أو حرباً

ومن الحديث عن المقاومة إنتقلْنا إلى الحديث عن السنة الحاسمة التي أعلنها الرئيس أنور السادات. قلت له: تفصلنا عن إنتهاء سنة الحسْم أيام هل تعتقد أن السنة ستكون حاسمة بالفعل سلماً أو حرباً كما يقول الرئيس السادات وهل تتوقع حدوث معارك؟

وأجاب: إنني أتوقع المعركة مع التشديد على ان هناك فارقاً كبيراً بين توقُّع حدوث المعركة والتأكيد أن المعركة ستحدث. هل تستطيع أن تؤكد مثلاً أن القيامة ستقوم هذه السنة؟ بالطبع لا. نستطيع أن نتوقع إما أن نؤكد فلا. إلاَّ أن المهم هو أن حلول سنة 1972 والوضع على ما هو عليه أمر غير مقبول. يجب أن يحدث شيء في الشهريْن المقبليْن. يجب أن تنشأ حالة واحدة بدلاً من حالتيْن.

فإما الحرب أو السلم، أما أن تبدأ السنة والحالتان مستمرتان في وقت واحد فإنه أمر غير مقبول ولا يمكن التسليم به.

وسألتُ العقيد القذّافي: هل الحرب ممكنة وهل تحقيق السلام ممكن؟

وأجاب: كلاهما ليس بالأمر المستحيل.

وعدْتُ أسألهُ: وهل تعتقد أن مؤتمر القمة المرجَّح عقْده قريباً من شأنه أن يساعد على الحسْم؟

وأجاب: لا أرى أي فائدة من القمة، وفي الوقت نفسه إنني لا أعارض عقْدها. إلاَّ أن القمة ستكون مفيدة وتعطي نتائج طيبة إذا تغيَّر الكثيرون من الحكام العرب الحاليين. وفي أي حال إن الحسْم في يد الجيوش العربية وليس في يد الحكام العرب.

وقلتُ للعقيد القذّافي: لدي معلومات تؤكد أن الرئيس السادات أبلغك وأبلغ شريككما الآخر في إتحاد الجمهوريات الرئيس حافظ الأسد، بعد عودته من موسكو، أنه أصبح مقتنعاً بأنه لا بد من معركة تتنقل فيها القوات المصرية إلى الضفة الشرقية المحتلة من القناة لأن إسرائيل لن تنسحب وأميركا لن تضغط. تفيد المعلومات أيضاً أن كل الحسابات المصرية منذ عودة السادات من موسكو مبنية على هذا الأساس. هل يمكن تأكيد هذه المعلومات أو نفيها؟

وأجاب العقيد القذّافي: أُفضل الإجابة عن هذا السؤال بشكل مقتضب لأكثر من سبب. عندما جاءني الرئيس

أنور السادات حدَّثني عن زيارة موسكو وقال لي إنه كان مرتاحاً جداً إلى نتائج الزيارة. وأبلغني أن السوفيات وعدوه بمساعدات.

التناقضات في «إتحاد الجمهوريات»

والحديث عن الزيارة التي قام بها السادات لموسكو ثم لدمشق وطرابلس، حملني على أن أفتح ملف التناقضات التي تجري داخل إتحاد الجمهوريات. ودار بيننا الحوار ألآتي:

قلت للعقيد القذّافي: السادات هو رئيس الإتحاد. كيف يجوز أن يوافق على بيان (وهو البيان المشترك الذي صدر عن محادثاته مع المسؤولين السوفيات) تتضمن فقرة تنص على إستنكار العداء للشيوعية في حين أنك مثلاً تعتبر الشيوعية عدواً وتجاهر بذلك. هل ستشارك في هذه النقطة أم أنك فوجئت بها؟

رد قائلاً: قضية الوحدة والإتحاد لا يمكن أن تتأثر ببيان مشترك أو تصريح يصدر هنا أو هناك أو هنالك. مثل هذه الأمور ليست في مستوى القضية. وفي سبيل الأمة يجب تجاوز أمور كثيرة. هل من أجل كلام يرد في بيان مشترك أو تصريح يُنشر في الصحف نضحي بالوحدة أمل شعوب الأمة العربية؟ يجب أن نتعالى عن هذه الصغائر التي تتكرر يومياً.

وقلت له: لكن الفقرة التي وردت في البيان السوفياتي – المصري المشترك تُعتبر موقفاً ثابتاً. ومن غير الطبيعي ما دام السادات وقَّع ذلك البيان أن يعادي الشيوعية التي تعاديها أنت، وهذا تناقض أساسي بينكم داخل الإتحاد؟

رد مبسِّطاً الأمر: ماذا يهمني من تلك الفقرة. هل ستجعل هذه الفقرة من مصر شيوعية؟ وهل ستجعل من الرئيس أنور ملحداً أو يقف ضدنا لأننا نعادي الشيوعية؟ لا. أنا مقتنع بل متأكد من ذلك. وكما أن الرئيس أنور لا يسمح للشيوعيين بالإنتشار والعمل في مصر كذلك نحن. إذا كنا حريصين على الوحدة العربية فلا موجب للنزول إلى مستوى البيانات والتصريحات. إن التناقضات أمر طبيعي ولن تزول إلاَّ إذا أصبحنا دولة عربية واحدة، عندها نصبح نموذجاً رائعاً في إتخاذ الموقف الموحَّد والثابت، وهذا يتطلب مئات السنين.

مثل آخر على التناقضات أوردْتُه للعقيد القذّافي. قلت له: كيف يجوز أن يكون في سوريا وزراء شيوعيون في حين أنكم ترفضون مثل هذا الشيء في السودان.

أجابني: هل في سوريا وزراء شيوعيون؟

قلت: نعم.

قال: من هم؟ هل تعرف أسماءهم؟

أجبت: إن الشيوعيين السوريين ممثلون في الحكومة بوزيريْن هما يوسف فيصل وعمر السباعي.

قال: الوزراء أدوات تنفيذية وليسوا قيادة. وفي إعتقادي أنه ليس في الدول العربية شيوعية حقيقية وشيوعيون حقيقيون. هنالك عناصر قليلة. واحد شيوعي بالهواية وآخر شيوعي بالتقليد. ومن أجل ذلك نرى الشيوعيين متقلبين، ونجد من يتحول من الشيوعية إلى التصوف.

وقلت للعقيد القذّافي: هل أنت مستمَّد لإشراك شيوعي ليبي في الحكم؟

وأجاب: لا وجود للشيوعيين في ليبيا لكي نُشرك أحدهم في الحكم.

وسألته: هل من سبيل لإزالة التناقضات التي تتزايد داخل دول اتحاد الجمهوريات؟

وأجاب: ستزول التناقضات تدريجاً. ولسنا أول من يعاني من التناقضات. الوحدة الإيطالية سبقتْها تناقضات. والفاتيكان آخر مظهر من مظاهر التناقض. وفي أي حال إن التناقضات بيننا أسهل بكثير من التناقضات بين

الرجعية والتقدمية.

سودان نميري المُستثنى من «إتحاد الجمهوريات»

والسودان متى سيدخل إتحاد الجمهوريات؟

وأضفتُ أسأل العقيد القذّافي: لدي معلومات تفيد أنك ستزور السودان قريباً أنت والرئيس السادات. لدي معلومات مؤكَّدة تفيد أن رئيس الوزراء الإتحادي سيكون ليبياً وأن رئيس مجلس الأمة الإتحادي سيكون سورياً، وأنه عندما بحث الرئيس السادات في الأمر معك ومع الرئيس الأسد قلت له إن الأمر هذا لا يهمك ولا تمانع في أن تكون كل المناصب الإتحادية الكبيرة للمصريين والسوريين لأن ما يهمك في الدرجة الأولى هو أن يقوم الإتحاد؟

وأجاب: أقصى موعد لدخول السودان الإتحاد هو 25 مايو المقبل. وأعتقد أنه مهيأ لذلك. ودخول السودان الإتحاد يخفف عنه أعباء ويُبعد عنه أخطاراً عدة.

وقلت للعقيد القذّافي: إن الحديث عن إنضمام السودان إلى الإتحاد يجعلني أفتح ملف الأحداث السودانية الدامية. وبصراحة أن إتجاهات كبيرة من الرأي العام العربي لامتْك لأنك بعدما إعتقلتَ المقدم بابكر النور والرائد فاروق عثمان حمدالله لم تتصرف بما تقضي به التقاليد الإسلامية والعربية الأصيلة وسلَّمت الرجلين إلى الرئيس نميري بعدما أعيد إلى الحُكْم. يضاف إلى ذلك أن ثمة حلقة لا تزال إلى الآن مفقودة على الصعيد الرسمي وهي كيف أعيد الرئيس نميري إلى الحُكْم. بماذا توضح كل هذه الأمور؟

وأجاب:

بعد إنزال الطائرة التي كانت تُقل بابكر النور وحمدالله في ليبيا، إتصل بي هاتفياً الرئيس جعفر وكان عاد إلى الحُكْم وقال لي: أرجو إرسال الإثنيْن إلى الخرطوم. ولم نكن ندري ما الذي بهما. هل يسجنهما؟ هل يحاكمهما؟ المهم إننا جهزْنا لهما طائرة وأرسلناهما فيها إلى الخرطوم، وعندما سمعتُ أن حُكْماً بالإعدام صدر عليهما – وهذا سر أذيعه للمرة الأولى – بعثتُ إلى نميري ببرقية طلبتُ فيها نتيجة للظروف التي أحاطت بإعتقال الرجليْن في ليبيا ثم إرسالهما في طائرة ليبية إلى الخرطوم، أن يخفف الحُكْم وإلاَّ يعدمهما لكن نميري رد قائلاً: غير ممكن تخفيف الحكم. ماذا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك؟ لقد سلَّمْنا الإثنيْن في وقت لم تكن بدأت المحاكمات والإعدامات. وحاولنا التدخل عندما سمعنا بالحُكْم الذي صدر بحقهما لكن نميري رفض ونفذ حكم الإعدام. أما من أعاد نميري إلى الحُكْم فهذه مسألة أُخرى. نحن، دول الإتحاد كنا عوامل مساعدة، لكن جماهير الشعب السوداني هي الأساس. لقد أعددنا الخطة العسكرية وكنا سنتدخل لإعادة الرئيس جعفر.

وتوقف العقيد القذّافي عن الكلام، وبقيت التساؤلات حائرة. رسمياً لم تُعلَن إلى الآن الرواية التي توضح كيف أُعيد نميري إلى الحُكْم.

قومية المعركة وسَنة الحسْم والإلتزامات

عدنا مرة أخرى إلى الحديث عن المعركة وسنة الحسْم. والعقيد القذّافي هو الذي شاء أن يوضح أشياء كثيرة تتعلق بالأمريْن.

قال: منذ نصف ساعة كنا نعقد في هذه القاعة إحتماعاً. وفي هذا الإجتماع بحث «مجلس قيادة الثورة» في الموقف العربي الراهن خاصة لأن سنة الحسْم تنقضي بسرعة. وقد أردنا أن نعلن موقفنا واضحاً ما دامت هنالك إجتماعات عربية ستُعقد قريباً ومنها إجتماع للملوك والرؤساء أسمع من الإذاعات أنه ربما عُقد. إن القضية في

منتهى الوضـــوح. من يريد أن يحارب ويقدِّم الســـلاح والرجال فليتفضـــل إلى الجبهة ومن لا يريد فليدفع ما وعد بتقديمه من مساعدات. ولقد إستقر الرأي على أن يُصدر «مجلس قيادة الثورة» بياناً يقول فيه بصراحة كل شيء.

وقلت للعقيد القذّافي: كنت أتمنى لو تعلن ذلك في هذه المقابلة معك.

وأجاب: الموضـوع لا يحتمل التأجيل. ويجب أن يقال كل شـيء بشـكل رسـمي وليس عبْر مقابلة صـحافية. ونحن إستعجلنا إصدار البيان حتى لا نترك مجالاً لأي دولة لكي تتنصل، أو تأتي بعدأيام إلى مجلس الدفاع لتعرض مشـــاريع وخططاً لا تفيد ولا تقدِّم أو تؤخر. وأحب أن أؤكد لك من جديد أننا لن نشـــارك في مجلس الدفاع إذا لم يتضـــمن جدول أعماله البحث في قومية المعركة. ناحية أخرى يجب أن نأخذها في الإعتبار هي أن المعركة ضرورية. وأنا ضد الذين يرون أن الأمة العربية لا تتحمل نكسة أُخرى. إسرائيل هي التي لا تتحمل نكسة.

القادة السوفيات عرضوا الرغبة وهو «مش فاضي نزور روسيا»

سألتُ العقيد القذّافي: كيف العلاقات بينك وبين الإتحاد السوفياتي؟ وأجاب: إننا نعتبر الإتحاد السوفياتي صديقاً والعلاقات حسنة بيننا وبينه.

وقلتُ له: هل يمكن أن تزور الإتحاد السوفياتي؟

وأجاب: لقد عرض عليَّ السفير السوفياتي رغبة القادة السوفيات في أن أزور موسكو.

وأنهى الجواب بلهجة ليبية: لكن مش فاضي عشان نزور روسيا.

كانت السـاعة الثانية فجر الخميس 12 نوفمبر/تشـرين الثاني 1971 عندما إنتهى الشـق المشـرقي الفلسـطيني الإتحادي الشيوعي من هذه المناقشة مع العقيد القذّافي.

لقد مرت ساعتان والحديث يطول ويطول ويتشعب، والعقيد القذّافي منطلق مستريح صريح يقول ما يريد بثقة في النفس لا حدود لها. يبتسـم لكنه لا يضـحك. يتأنى في الكلام الذي يقوله حتى لتحسـبه يريد أن يقول الكلام اللازم والضـروري ذا الألفاظ المختارة. إعتذر لبضـع ثوان غادر فيها مكتبه ثم عاد وفي يده كوباً من العصـير وتبعه نادل يحمل صينية وعليها كوباً آخر لي.

وقلت للعقيد القذّافي: بما أنني لسـت من أعضـاء مجلس قيادة الثورة وبما أنه باق على الإمسـاك نحو سـاعتين فهل يسمح العقيد بأن أُدخن سيجارة؟

رد قائلاً: تفضل وأعتذر لأنه ليس في مكتبي سجائر.

وفي الوقت الذي كنتُ أولّع سيجارتي كنت أتأمل خلسة وجه العقيد. هل هو متضايق؟ أم أن الأمر لا يعنيه؟

ولاحظت أنه مغرق في التأمل، يستعد ليقول شيئاً أو يفكر في أمر ما.

أما لماذا إسـتئذاني بتلك الطريقة لتدخين سـيجارة فلأن معلوماتي تفيد أن أعضـاء مجلس قيادة الثورة كانوا حتى الأمس القريب يأخذون في الإعتبار أن رئيسـهم لا يدخن ولا يحتسـي الخمرة. يصـوم. يصـلي. أدى مناسـك العمرة في مطلع الصيف.

فجأة سمعْنا قرعاً من بعيد على الطبلة. كان القارع أحد الجنود يقوم بمهمة المسحِّر للجنود والضباط النائمين في ثكنة باب العزيزية. وفي هذه الثكنة منزل العقيد القذّافي. ومنزل رئيس الأركان المقدم أبو بكر يونس الذي كان عائداً حديثاً من زيارة للقاهرة قابل خلالها السادات وزار جبهة السويس ورفع تقريراً إلى العقيد القذّافي عن هذه الزيارة.

وقلتُ للعقيد القذّافي: لقد حملتُ إليك هدية معي من لبنان. وناولْته كتابي «الحزب الشيوعي السوداني. نحروه أم

إنتحر».

كان الجندي المســـحِر لا يزال يقرع عندما قلت للعقيد القذّافي: لقد تحدَّثنا عن المشـــرق والإتحاد والمقاومة والشيوعية. وبقي أن نتحدث عن ليبيا وهمومها الداخلية وتطلعاتها الإسلامية ومشاغلها المغربية.

وأجاب: إن الحديث سيكون شائكاً.

وأجبت: لكنه سيكون أيضاً شائقاً.

قال: على بركة الله. فلنبدأ... وبدأنا.

نُشرت هذه الحلقة من الحوار في صحيفة «النهار» – لبنان
بتاريخ الثلاثاء 16 نوفمبر/تشرين الثاني 1971

طرابلس ، ليبيا — من فؤاد مطر :

في عهد النبي محمد حدثت واقعة . جاءت النبي سيدة تدعى الغامدية (من قبيلة غامد) وقالت له : لقد زنيت يا رسول الله فاقم علي الحد ليطهرني فيغفر الله لي . فاراد ان يتثبت برغم هذا الاعتراف فقال لها : لعلك لاعبت او لمسك فاخذت ، ورددها ثلاث مرات، وهي تصر على الاعتراف . وقالت في الثالثة : لقد زنيت يا رسول الله واثر الزنى جنين يتحرك في بطني ، فقال لها : اذهبي حتى تلدي ، فلما ولدته جاءته به فقال لها : اذهبي حتى يتم رضاعه ويفطم ، فجاءته بعد ذلك مصرة على اعترافها واقامة الحد ، فاخذ الطفل وسلمه الى من يحضنه ثم امر بها فرجمت حتى ماتت . واشترك في الرجم عمر بن الخطاب الذي كان شاهدا هذا الحوار بين النبي محمد والسيدة الغامدية . وقد امسك عمر بحجر كبير ورمى به الغامدية قائلا : خذي ايتها الزانية . عندها قال النبي محمد : لا تفعل هذا يا عمر . لقد تابت توبة شهدتها ملائكة السموات والارض . ولقد غفر الله لها لانها ارادت ان تفتدي نار الاخرة بعقوبة الدنيا التي آمر بها الله .

والرجم هو من العقوبات التي آمر بها الاسلام تنزل على من يزني الا ان الفقهاء اشترطوا اخذا عن الكتاب والسنة النبوية ان جريمة الزنى مثلا « لا تثبت الا بشهادة اربعة شهود عدول ليس من بينهم الزوج او الزوجة يشهدون بانهم رأوا جريمة المواقعة الفعلية بولوج عضو الذكورة من الرجل في عضو الانوثة كما يدخل المرود في المكحلة » .

وما دام توافر تلك الحالة واولئك الشهود امرا صعبا بل مستحيلا فان المسالة تصبح مسالة ضمير واعتراف.

ولقد جاءت الغامدية تعترف لانضميرها عذبها بعدما زنت وحملت سفاحا .

وليست في التاريخ الاسلامي واقعة مماثلة لواقعة الغامدية . وهي على الارجح الزانية الوحيدة المرجومة في التاريخ الاسلامي .

وقواعد القصاص العامة الاصلية في القرآن هي « النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص» الا ان هنالك آية في القرآن تفتح باب العفو وهي « فمن عفا واصلح فاجره على الله » .

واذا اخذنا بقواعد القصاص فان الواجب يقتضي قطع يد السارق . وفي التاريخ الاسلامي قطعت ايدي سارقين كثيرين الا ان ذلك كان يتم في حالات التدهور الاقتصادي بدليل ان عمر بن الخطاب اوقف قطع ايدي من يثبت انه سرق مال غيره طوال سنة المجاعة في المدينة .

والى الان لا يزال مثل هذا القصاص ساري المفعول في المملكة العربية السعودية . وكان للملك عبد العزيز ما يبرر له انزال هذا النوع من القصاص بالسارقين حيث ان مكامن كثيرة نصبت لحجاج كانوا متوجهين في قوافل لتادية فريضة الحج . وكان ناصبو المكامن يقتلون هؤلاء الحجاج وينهبون جمالهم واموالهم . وقد حذر عبد العزيز من هذا الامر كثيرا ولم يرتدع قطاع الطرق هؤلاء الى ان كان يوم قتل فيه عدد من الحجاج ونهبت جمالهم واموالهم ، فتوجه عبد العزيز الى مكان الحادث وقال مخاطبا ساكني تلك الديار : اريد الذي سرق وقتل . ولم يتقدم احد ، كذلك لم يشر احد بالسارق القاتل او بالسارقين القتلة . عندها اعتمد عبد العزيز قاعدة القسامة فقطع ايدي كثيرين من رجال ساكني تلك الديار . ومنذ تلك الواقعة والى الان قطعت ايدي نحو ١٧ رجلا سرقوا. وبسبب حملة تقطيع الايدي هذه اصبح المواطن في السعوديه آمنا مطمئنا لا يخاف ان يسرقه احد .

واذا كان قطع يدي السارق من قواعد القصاص التي اوصى بها الاسلام فان الزكاة هي من الاصول الخمسة في الاسلام وهي الثانية بعد الصلاة . ولا يكتمل اسلام المرء الا بهذه الدعائم . وللتدليل على ان الزكاة تحل ثانية في الدعائم ما جاء في احدى الآيات « وأقيموا الصلاة وانوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » .

حزب الله

لماذا مثل هذا التذكير وتلك الاشارات والامثلة ؟ لان ليبيا الان حكما وشعبا منهمكة في ذلك . وتوقيت الانهماك مناسب دينيا لانه يحدث في شهر رمضان.

حكم العقيد معمر القذافي قرر العودة الى الاصول الاسلامية . قرر فرض الزكاة وتنظيمها . وقرر ايضا اعادة النظر في القوانين المعمول بها الان وتعديلها بحيث لا تتناقض احكامها مع مبادىء الشريعة الاسلامية . وهذه الخطوات جاءت بشكل مفاجىء واعلنت في وقت واحد بحيث احدث اعلانها لغطا في صفوف الليبيين ، وخاصة ما يتعلق بالزكاة التي تشمل ما يملكه المسلم من ذهب وفضة واوراق نقد واسهم وسندات واموال عينية وانعام. وسبب اللغط ان الليبي يدفع للدولة ضرائب كثيرة تعتبر نسبتها أعلى نسبة يدفعها مواطن لحكومته . فاذا كان الليبي سيدفع فوق ما يدفعه فمعنى ذلك ان وضعه المالي مرشح للاهتزاز. والحديث عن القوانين المطلوب مراجعتها بحيث لا تتناقض احكامها مع مبادىء الشريعة الاسلامية ، والزكاة التي صدر قانون باعادة فرضها ، هو اكثر الاحاديث انتشارا بين الليبيين . الاذاعة تتحدث عن هذه الخطوات . والصحف تعالج هذه الخطوات وتبشر بها وتوضح اهدافها حتى ان التفكير

مطلع الحلقة الأُولى من الحوار كما نُشر في صحيفة "النهار" عدد الثلاثاء 16 نوفمبر/تشرين الثاني 1971.

•الحلقة الثانية من الحوار•

تشعر وأنت في ليبيا هذه الأيام (نوفمبر/تشرين الثاني 1971) بأنك تعيش أيام ما بعد الدعوة وإنتشار الإسلام.

هنا ندوة عن الدين الإسلامي. هناك محاضرة عن أصول هذا الدين. في الإذاعة كلام عن الدين. في التلفزيون كلام عن الدين. ولأن هذه الأيام لا تزال من شهر الصيام فإن حديث الناس الغالب هو الدين.

وفي إحدى جلسات «محكمة الشعب» التي تحاكم رجال العهد الماضي في ليبيا قال رئيس المحكمة الرائد بشير هوَّادي الصغير وهو أحد أعضاء «مجلس قيادة الثورة» ما معناه إن ألإسلام هو الدين السماوي الأول. وترك الذين يتابعون المحاكمات من خلال الإذاعة المرئية في حيرة من الأمر. وأكثر الذين إحتاروا كانوا رجال السلك الديبلوماسي الأجنبي العامل في ليبيا. كل واحد سأل الآخر. والآخر أجاب. ولم يصل الواحد ولا الآخر إلى جواب قاطع. مجرد إجتهادات. مجرد تفسيرات.

إن ليبيا تشهد موجة مدْ إسلامية لا مثيل لها ولا سابقة لها. فقد درجت العادة أن تكون هنالك دعوات إلى التمسك بالدين تقوم بها جماعات في دولة ما. حدث مثل هذا الشيء في مصر عندما نشط «الإخوان المسلمون» لكن النظام ضربهم وشتتهم. أما في ليبيا فالوضع مختلف. النظام هو صاحب الدعوة الإسلامية وهو المتحمس لها عن قناعة، ولأن الشعب الليبي في طبيعته متدين فإن هذه الدعوة تلقى ترحيباً في صفوف هذا الشعب.

وقلت للعقيد القذّافي: إنني في ليبيا منذ ثلاثة أيام كأنني في عاصمة أحد الخلفاء. لا حديث إلاَّ عن الدين، وعن الزكاة التي قررتم فرضها والقوانين التي ستعيدون النظر فيها بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية. والحقيقة أنني أتساءل: ما هذا، لِمَ كل هذا. نظام ينادي بالإشتراكية. نظام يعادي الرجعية. نظام يتبنى الثورية ولا يترك مناسبة إلاَّ يعبر عن ثوريته هذه. كيف يجوز أن يشغل نظام من هذا النوع نفسه في هموم الدين وفي هذا الوقت بالذات حيث تحتاج ليبيا إلى عملية دفْع ثورية إلى الأمام؟

وإستوى العقيد في مقعده وتحدَّث بهدوء وبصوفية أنستْني إندفاعاته الشهيرة في المؤتمرات العربية، وفي مؤتمر القمة الوحيد بالذات الذي شارك فيه والذي عُقد في الرباط ثم في تجمُّع الملوك والرؤساء العرب في القاهرة خلال سبتمبر/أيلول 1970 عندما هدد بأن يطلق النار على الملك حسين ويقتله لأن الملك «يبيد المقاومة الفلسطينية».

قال العقيد:

وهل إذا عدنا إلى الأصول نكون غير ثوريين؟ نعم نحن ننادي بالإشتراكية والدين الإسلامي ليس ضد الإشتراكية. إن الكلمة لم ترد لكن الإسلام في حد ذاته دين إشتراكي. إن العدالة الإجتماعية في المفهوم الإسلامي مثالية. إن الإسلام نادى بالإشتراكية. والإسلام نبذ التفرقة العنصرية. والإسلام ساوى بين الناس(*).

(*) في ندوة عُقدت في مقر الإتحاد الإشتراكي العربي في القاهرة ونُشرت تفاصيل ما جرى خلالها في الصحافة المصرية والليبية يوم السبت 15 فبراير/شباط 1973، تحدث العقيد القذّافي مطولاً عن عبد الناصر وعن الدين والقومية طارحاً ما سماه "التصوُّر الإلهي للإسلام". وكان أدى، ومَن جاء معه من رفاق الثورة الليبية إلى القاهرة، صلاة الجمعة في "مسجد عبد الناصر". وعقْب الصلاة زار الرئيسان ضريح عبد الناصر لقراءة الفاتحة على روحه.

من جملة ما قاله حول "التصوُّر الإلهي للإسلام" في الحوار المفتوح وهو على المنصة محاطاً بـــ حسين الشافعي نائب الرئيس السادات والمهندس سيد مرعي رئيس البرلمان المصري، ما يأتي:

"ماركس يقول الإقتصاد كل شيء، ويتجاهل الدين ويتجاهل الإله سبحانه وتعالى. إنه ليس من الإسلام في شيء أن تثار في مصر في هذه المرحلة الحرجة أية مشكلة دينية، فالإسلام والمسيحية بريئان من أي فرد يثير مشكلة دينية في هذه المرحلة. إنني أُقدِّم تفسيراً قد يكون غريباً بالنسبة لكثير من المسلمين.. إنه التصوُّر الإلهي للإسلام، أو الإسلام بالمعنى الإلهي. أنتم تعتقدون أن المسلمين هم أتباع سيدنا محمد فقط وهذا طِبْقاً للإسلام غير صحيح. إن سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء أوصى أبناءه أن يُسْلموا فقال لهم (فلا تموتُّن إلاَّ وأنتم مسلمون). فمَن عَبَد الله ووحَّده فهو مسلم. هذا هو التصوُّر الإلهي للإسلام فكل الأنبياء وأتباعهم مسلمون. فالمسلم يؤمن بكل الأنبياء وبالتوحيد، فالفصل هو التوحيد. مِن قبْل القرآن كان الإسلام، وقبْل الدين كنا مسلمين. كان أهل الكتاب

وأورد العقيد حديثاً للنبي محمد قال فيه: الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسْود ولا لأحمر على أصفر، كلكم لآدم وآدم من تراب.

وأورد العقيد أيضاً حديثا آخر للنبي قال فيه مخاطباً أباذر الغفاري – لأنه قال لفتى أسود: يا إبن السوداء –: «إنك أمرؤ فيك خصال الجاهلية. لا فضل لأبيض على أسود، ولا يتمايز الناس إلاَّ بتقوى الله».

وأضاف العقيد القذّافي: ما الذي نفعله نحن؟ لقد قررنا إعادة فرْض الزكاة وإعادة النظر في القوانين بحيث لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية. ولنُبسِّط الأمر قليلاً. كل ليبي مؤمن أو هكذا يجب أن يكون. والمؤمن مُطالَب بتطبيق أصول دينية أو هكذا يجب أن يفعل. والزكاة عنصر أساسي في الدين تأتي من حيث الأهمية بعد الصلاة مباشرة. والليبي إذاً مُطالَب بدفع الزكاة سواء أكان هذا الليبي هو معمَّر القذّافي أو أي شخص آخر يسكن في المدن أو في قلب الصحراء وتنطبق عليه الشروط. وقد حدث أن عدداً كبيراً من الليبيين يحتار في أمر الزكاة. يريد أن يزكي ولا يعرف لمن يدفع. أحياناً تتراكم المبالغ المستحقة للزكاة، وأحياناً أُخرى – وقد حدث ذلك بالفعل – يدفع الذي يريد أن يزكي لجاره ويكون هذا الجار غير محتاج وفي حالة من اليسر. لماذا دفع لجاره؟ لئلا يثقل كاهله بعبء الزكاة ولكي يكون مطمئناً إلى أنه فعل ما أمره به دينه.

ما الذي ستفعله الدولة. إنها أولاً ستعيد فرْض الزكاة لأنه واجب أمر به الدين. وهي بعد ذلك ستُنظِّم أمر الزكاة. يُدفع المال إلى الدولة والدولة توزعه على من يستحق. نحن لن نلاحق المواطن لكي يدفع الزكاة ولن نبحث عن حسابه في المصرف أو المصارف لنطالبه بدفع نصيبه. هذه مسألة شخصية وضميرية.

وقلت للعقيد: وهل تعتقد أن الليبي سيتجاوب مع نداء الضمير؟ لقد سمعتُ أن هنالك عناصر تتأفف وتقول ألا يكفي ما ندفعه من ضرائب حتى تأتي الزكاة وتُفرض علينا؟

مسلمون حسب التصوُّر الإلهيّ للإسلام. من أول رسالة نزلت من السماء إلى الأرض وهي تدعو للإسلام إلى أن جاءت رسالة سيدنا محمد وكان لا بد أن تُختتم الرسَالات بالإسلام مثلما بُدئت به بحيث ينسحب على كل الديانات ومن آمن بمحمد يكون قد آمن بكل الأنبياء قبْله. من هنا لا بد أن يعيد كل فرد في هذا العصر النظر في عقيدته على ضوء هذه الحقائق...".

الأخ العقيد يطرح التصوّر الإلهي للإسلام
الفجر الجديد

رد قائلاً: إنني متأكد من أن الليبيين سيتجاوبون، ومتأكد من أنهم سيتسابقون لدفع الزكاة، فأنا لا أطلب منهم شيئاً. إنهم مسلمون والدين هو الذي يطلب منهم ذلك.

مراجعة القوانين، فهل ستكون هناك «ليبيا الشريعة»؟

إنتقلْنا إلى موضوع القوانين. قلت للعقيد القذّافي إن كثيرين إعتقدوا أن مراجعة القوانين في ليبيا بحيث لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية معناها أنكم ستلغون القوانين الوضعية المعمول بها الآن. وعلى هذا الأساس سنتوقع أن تُقطع يد السارق ويُرجم الزاني والزانية، ويصبح رئيس الدولة خليفة ويصبح محافظ طرابلس أو بنغازي أو فزان ولاة عيَّنهم الخليفة. وعلى هذا الأساس سنتوقع أموراً أخرى تعيد ليبيا إلى أمجاد الإسلام السابقة فلا تعتبرون غير الرازي أو إبن سينا أطباء حقيقيين وترون أن الموشحات هي الفن الحقيقي وما عداه لا يجوز أن يبث من الإذاعة. وعلى هذا الأساس أيضاً سنتوقع إعتماد السيف والجواد بدلاً من المدافع وطائرات الميغ أو الميراج، لأن المسلمين وصلوا حتى إلى الأندلس بفضل رماحهم وجيادهم وسيوفهم.

وقال العقيد: يكفي. كل هذه التوقعات لن تحصل. ونحن نفكر في إسترجاع سيناء دون أن ننسى تلك الأمجاد الغابرة. يؤرقنا مصير الضفة الغربية ومرتفعات الجولان دون أن ننسى أننا في مرحلة من المراحل كنا قوة لها كلمتها وبأسها وحضارتها. هاجسُنا القدس ولكن تذكُّر أمجاد غرناطة ليس بالأمر السيء. نحن ندرك تماماً ماذا نفعل وماذا سنفعل. كل خطوة نخطوها يجب أن تقودنا إلى الأمام. إنتهى في ليبيا منطق التراجع. وإعادة النظر في قوانينا الوضعية المعمول بها حالياً عملية ضرورية وجيدة. وقبل أن أوضح ذلك أريد أن أقول أمراً أساسياً: ما الذي يمنعنا من إعادة النظر في قوانينا الوضعية؟ نحن نعرف في أي طريق نسير؟ إن العالم إعتمد المشرِّعين المسلمين في وضْع قوانين يعمل ويتعامل بها. ثم وضع الأجانب قوانين فُرضت علينا بحكم الإستعمار الذي ذُقنا من مرارته نحن في ليبيا الكثير. إن الشريعة السماوية لم توضع لزمان معيَّن ولا في مكان معيَّن. صافية صافية صافية. كل النقاء فيها. كل المثل فيها. ونحن بصرف النظر عن تفسيرات الآخرين سنفعل ما نعتقده خيراً. لقد ألفنا لجنة برئاسة رئيس المحكمة العليا ولن نلغي كل القوانين الوضعية إنما من الظلم أن نبقى أسرى هذه القوانين وبعضها جائر ويتعارض مع شريعة ديننا الحنيف. وستناقش اللجنة الأمر وتعرض علينا ما تراه مناسباً. وعلى هذا الأساس نعدِّل أو نلغي ونضع لمسات من شريعتنا على بعض القوانين التي ترى اللجنة موجباً لتعديلها. يبقى موضوع الطب والموشحات وغرناطة وتوقعاتك وتخوفاتك الأُخرى. نحن نؤمن بالتطور ونؤمن بالعِلْم وعلينا أن نواكب عصر العِلْم والفضاء الذي نعيش مجده الذهبي. ولو كنا على سبيل المثال نريد إستعادة أو المشاركة في إستعادة الأراضي العربية المحتلة من إسرائيل بالسيوف والرماح والجياد على طريقة الأجداد الذين وصلوا غرناطة لما كنا اشترينا أحدث الطائرات وندرب جنودنا ليلاً ونهاراً على أحدث أنواع الأسلحة. مهمتنا أن نأخذ بآخر ما حققه العلم وإذا أستطعنا أن نزيد عليه فلنفعل.

وعاد القذّافي يتحدث عن موضوع الزنى وقوانينه الحالية المرشحة للتعديل.

قال: لقد وجدنا في القانون الوضعي مخالفات صريحة تضر بالمجتمع. مثلاً إن هذا القانون المعمول به حالياً في ليبيا يسمح للرجل بأن يزني شرط ألاَّ تتم عملية الزنى في بيت الزوجية. هل هذا منطقي؟ هل هذا مقبول؟ بالطبع لا. ليس في هذا القانون زجْر وتبعاً لذلك يصبح الزنى قاعدة.

وقلت له: هل ننتقل إلى موضوع آخر؟

ورد بآيتين: الأولى «وما جعلنا عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم. إن الله يريد بكم اليسر ولا يريد

بكم العسر». والثانية «وما أنزلْنا عليك القرآن لتشقى».

وقلت له: قبل أن ننتقل إلى الموضوع أو المواضيع الأُخرى أريد أن أعرف منك لماذا يرفض الرئيسان السادات والأسد أن يطبِّق كل في بلده ما تقوم به في ليبيا وإعادة النظر في القوانين بحيث لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية؟

وأجاب: الرئيسان أنور وحافظ لم يعارضا الموضوع وقد يفعلان في بلديْهما في يوم من الأيام ما نفعله نحن الآن في ليبيا. إن مستقبل المنطقة للشريعة الإسلامية. نحن واقعون تحت وطأة هجوم إستعماري. لم يستعمل هذا الهجوم الجنود ولم يكتف بالإحتلال. لقد حاول الإستعماريون مسْخاً لكي ننقاد لكل شيء يأتي من الخارج. ويجب مواجهة الغزو الإستعماري بفلسفة حقيقية نابعة من ذاتنا. إن الإسلام هو الثورة الدائمة. من 15 قرناً قال الإسلام: «أُنظروا ما في السموات والأرض». ومن 14 قرناً دعا الإسلام إلى إستكشاف السماء والأرض.

دواعي منْع الخمر ذلك الرجس

وما دمنا في موضوع الزكاة فلنفتح ملف الخمر التي مُنعت في ليبيا. وقلت للعقيد القذّافي: لقد منعت الخمر ولا تريد أن يجادلك أحد في هذا الأمر. لكن عدداً كبيراً من الليبيين يحتسون الخمر. وعندما لا يحصلون على الخمر يلجأون إلى إحتساء السبيرتو برغم عدم توافرها إلاَّ في المستشفيات، وأمس سمعتُ وأنا في الفندق بعض الإخوان الليبيين يقولون إن إثنين من المواطنين يسكنان على مقربة من الفندق ماتا لإحتسائهما السبيرتو. وبعد منْع الخمر أصبح الليبي المعتاد الخمر يعتمد السفر إلى مالطة أو تونس أو الجزائر أو القاهرة حيث يغيب يومين أو ثلاثة يقضيها في ملء جوفه بالخمر. ثم إن حوادث عدة وقعت في ليبيا بسبب محاولات من البعض لتقطير الخمر. يضاف إلى ذلك إن عشرات الأجانب يفدون يومياً إلى ليبيا وهؤلاء لا يجدون ملهى يسهرون فيه أو مقصفاً في الفندق يقدِّم لهم الخمر أو نوادي للقمار. التسلية الوحيدة لهؤلاء هي تمضية الوقت في ردهات الفندق الذي يحلون فيه يحتسون القهوة أو الشاي أو المرطبات. إنه أمر يدعو إلى الإستغراب. ثم هنالك مصنع ممتاز للبيرة كان يعمل أيام الإيطاليين وهو الآن معطَّل وفي الإمكان تشغيله والإستفادة منه على الصعيد الإقتصادي وتوريد الإنتاج إلى الخارج. وعندما عُرِضَت عليك الفكرة عارضْتَ وتصلبتَ. إننا نعرف جيداً أنك لا تتراجع عن ثلاثة أمور: منع الخمر، والعمل من أجل الوحدة العربية، وعدم السماح بعودة الأحزاب على أساس أن «كل من تحزَّب خان». ولكن ألا يمكن التساهل في موضوع الخمر خاصة لأنكم تخططون للمستقبل. وبعد عشرين سنة قد لا يكون هناك نفط. وما دامت في ليبيا آثار من شأنها إجتذاب السياح فإن السائح لن يقصد دياراً لا تسلية فيها؟

وأجاب القذّافي بآية: الخمر والميسر والأنصاب رِجْس من عمل الشيطان فإجتنبوه لعلكم تفلحون.

وقلت له: هل هذا هو الجواب الوحيد عن كل الكلام الذي قلته؟

وأجاب بآية أخرى: حُرِّم عليكم الخمر والميسر ولحم الخنزير وما أُهلَّ به لغير الله.

وألححتُ أطلب منه كلاماً مقنعاً في موضوع الخمر. فإنطلق يشرح الظروف والأسباب الموجبة.

قال العقيد: الخمر أثر من آثار الحملة الإستعمارية، كذلك المجون والقمار والملاهي الليلية. هذه أسلحة حاربنا الإستعمار بواسطتها. والإستعمار هو الذي شجع الناس على الشعوذة والدجل والإبتعاد عن روح العِلْم. وعندنا في ليبيا ضريح اسمه ضريح سيدي عبد السلام إعتاد الكثيرون من الليبيين التوجه إليه وذبْح الخراف هناك وطلب الرحمة. وكان حول الضريح بعض المستغلين الذين يلجأون إلى تهديد الناس وإبتزاز أموالهم بحجة أن سيدي عبد السلام سيغفر لهم ويحقق أمانيهم ويجلب لهم الحظ والتوفيق. هل تعرف ماذا فعلتُ عندما بلغني ذلك؟

لقد أمرتُ بوضع حد لهذه الشعوذة والدروشة، وأمرتُ أيضاً بتكليف شرطي يلازم مكان الضريح بإستمرار لمراقبة المشعوذين وإعتقال الذين يبتزون أموال الناس البسطاء. وقلت إن من يريد قراءة الفاتحة على ضريح سيدي عبد السلام فليتوجه إلى هناك، عدا ذلك كل الخزعبلات ممنوعة. وتدريجاً إختفى منظر السيدة التي كانت تذهب إلى سيدي عبد السلام طالبة أن يرزقها ولدا لأنها عاقر. كذلك إختفى منظر الكثيرين الذين كانوا يتجهون إلى الضريح ويذبحون الخراف ويطلبون الشفاء من أمراض عادية أو مستعصية. إذاً، فنحن نتصرف بما يناسب العصر. أما موضوع الخمر فقضية معقدة ومزدوجة. الخمر محرمة دينياً من جهة ومشكلة إجتماعية من جهة أخرى. والحق في أنها مشكلة إجتماعية، على الإستعمار. كيف؟ في الماضي كانت هنالك تشريعات تمنع على الليبي بيْع الخمرة وإحتساءها. ثم بدأ الإستعماريون يلجأون إلى أساليب شوَّقت الليبي وعوَّدتْه إحتساء الخمر وإرتياد الخمارات. وتزايد عدد الليبيين الذين راقتهم الأحاسيس التي تولّدها الخمر. وماذا حدث نتيجة لذلك؟ كثرت حوادث السير. كثرت الإعتداءات. كثرت التحرشات. وهناك حادث وقع لا أنساه هو أن عائلة من أب وأم وستة أولاد قتلوا في حادث سيارة دفعة واحدة لأن الأب كان في حالة سُكْر شديدة. وتعود بي الذاكرة الآن إلى أيام كنت لا أزال طالباً صغيراً في مدرسة «سبها» في منطقة فزان. كانت البلدة نقية بعيدة عن المدن حيث الخمارات الكثيرة. ولم يأت الأجانب إلى البلدة. وذات يوم جاء شاب من عائلة سيف النصر وأنشأ فيها خمارة زينها بالزجاج الملون. بدأ الأولاد يأتون إلى هذه الخمارة ويتفرجون من بعيد عليها. وإستهوى الصغار منظر الجالسين على الكراسي يشربون من كؤوس ملونة وضعت على الطاولات أمامهم أو من زجاجات. أستهوتهم أيضاً الموسيقى المنبعثة من داخل الخمارة. إستهواهم منظر الجالسين وقد تحوَّلوا إلى سكارى يقهقهون ويغنون. وأصبح هاجس الأولاد وهم فقراء الحال أن يجلسوا ولو لدقائق قليلة لتقليد الكبار المنحلّين خُلقياً الذين كانوا يأتون من بعيد لتمضية السهرة في الخمارة. بدأ الأولاد يتقدمون شيئاً فشيئاً نحو الخمارة ويسألون صاحبها هل نستطيع الجلوس على الكراسي وإحتساء ما تقدِّمونه. صاحب الخمارة يريد ذلك لأنه يريد توسيع دائرة الذين يحتسون الخمر. كان يسمح لهم بالجلوس ويقدِّم لهم الخمر فيحتسون حتى الثمالة، ثم يستدعي رجال الشرطة لنقلهم إلى السجون. بعد سنتين كان الأولاد كبروا وأصبحوا يشكِّلون طبقة مزدهرة من مدمني الخمر. وتحولت المدينة الطاهرة إلى بؤرة من الفساد. وعندما وقف أحد أبناء البلدة ذات مرة في المسجد وهاجم صاحب الخمارة الباي محمد سيف النصر تعرَّض المسكين للضرب من ذلك الباي الفاسد الذي إنتهى به المطاف معتقَلاً الآن قيد المحاكمة في «محكمة الشعب».

لقد أثَّرت هذه الحالة في نفسي كثيراً. وعندما أسمع همهمات ومطالَبات بأن أعيد النظر في قرار منع الخمر أتذكر ما حدث في «سبها» وأتصور العشرات يسقطون قتلى أو جرحى في حوادث السير بسبب السكر. وقبل كل ذلك أتذكر قوله تعالى «الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان فإجتنبوه» و«حُرم عليكم الخمر والميسر ولحم الخنزير».

يضيف القذّافي: لمَ كل هذه الإهتمامات بمنع الخمر؟ الأمر طبيعي جداً وقبْلنا أميركا حرَّمت الخمر وأبراهام لنكولن لم يحتس الخمر كذلك مونتغومري وملايين من البشر ليسوا معروفين لنورد أسماءهم. ونحن أعضاء مجلس قيادة الثورة لا أحد فينا يحتسي الخمر.

وقلت للعقيد القذّافي: هل ستمنعون الخمر مستقبلاً عن الجهات المسموح لها بالحصول على كميات منه وهي السفارات الأجنبية وشركات النفط؟

وأجاب: لا.

وسألته: وهل تتصور أنك ستنجح في تعويد الليبي على ترْك الخمر؟

أجاب: آمل في ذلك. لقد نجح ماوتسي تونغ في أن يلغي الأفيون.

وقلت للعقيد القذّافي: لكن المطلوب حملة توعية تجعل المواطن يترك الخمر إلى غير رجعة كما طلق الصـــيني الأفيون.

وأجاب: سأسعى دائماً. سأحاول.

الزراعة والصناعة والوافدون من الخارج لهذه المهمة

قلت: علمتُ قبل بضـــع ســـاعات أنك أمضـــيت قبل ظهر اليوم في جولة بطائرة هليكوبتر فوق مناطق يجري إستصلاح الأراضي فيها مقدمة لزراعتها. هل هناك هموم زراعية؟

أجاب: لقد غرسْنا في سنين ألوف الشجيرات، وسنستمر في عملية الغرس، على أن كل هذا لا يفيد إلاَّ قليلاً فالصحراء شاسعة ولكن يجب الإكثار من اللون الأخضر. وبالإضافة إلى ذلك إننا مهتمون بالزراعة ونستصلح المزيد من الأراضي. وهذه السنة عندنا موسم زيتون ناجح سيشارك الطلاب والجنود في جنيه وسأكون أول من يشارك في جنْي المحصول. إننا نبدي إهتماماً كبيراً بالصناعة أيضاً، إذ لا يجوز أن نعتمد على النفط. النفط ثروة إستثنائية ويجب أن نبني البلد بما نجنيه من هذه الثروة ونخطط لخمسين سنة على الأقل. وعندما سنبدأ تصنيع الحديد الذي عثرنا عليه في فزان سننشىء سكة حديدية، نفعل أكثر مما تتحمله طاقتنا، ولأننا شباب فإننا لا نشعر بالتعب.

وقلت للعقيد القذّافي: لكن إهتمامكم بالزراعة والصـــناعة والبناء يتطلب إحضـــار الألوف من العمال من الخارج، والذي لاحظناه أن حســـاســـية الليبيين من الوافدين تتزايد وبالذات من العمال والفنيين والأخصـــائيين العرب. فكيف ستحقق ما تسعى إليه والحساسية مستمرة؟

وأجـاب: عـنـدمـا نـقـرر تـنـفـيـذ أي مشـــروع نـفـتـش أولاً عـمـا إذا كـان هـنـالـك ليبيون قادرون على تنفيذه فنوظفهم. أما إذا لم نجد هذه العناصـــر فإننا نســـتعين بالعمال والفنيين العرب أولاً وببعض الأجانب ثانياً. الليبي أولاً ثم العربي ثم الآخرون بعد ذلك.

الهموم المغربية والعلاقات السيّئة مع الحسن

وقلت للعقيد القذّافي: ما هي همومك المغربية؟

وأجاب: لا جديد في العلاقات الســـيئة مع المغرب ولن نبدِّل موقفنا من الحســـن ولا من حســـين عِلْماً بأن العلاقات الديبلوماسية لم تنقطع بين طرابلس وكل من عمان والرباط.

وسألته: وهل بذلتم مساع في هذا السبيل؟

رد قائلاً: لم يبذل أحد مساعيه، وهل يمكن أن نهادن الرجعية؟

وعدت أسأله: وما هي طبيعة العلاقات مع تونس؟

وأجاب: جيراننا. أبناؤهم يعملون عندنا.

وقلت له: الجزائر؟

وقال العقيد: ما بها؟

أجبت موضحاً: هل إتفقتم مع الرئيس بومدين؟

العقيد القذّافي: على ماذا؟

وقلت: لقد أعلنتَ في الخطاب الذي ألقيتَه في «صـــبراته» يوم 7 أكتوبر/تشـــرين الأول 1971 لمناســـبة الذكرى الأولى لجلاء آخر إيطالي عن ليبيا وكنت عائداً لتوك من اللقاء الثلاثي في القاهرة مع الرئيسيْن السادات والأسد، «أن الجزائر ليســـت الآن بطريقة عملية موجودة في المعركة أو الوحدة العربية ونحن لا نريدها خارج المعركة حيث أن الجزائر مؤهلة لأن تلعب دوراً في وحدة الأمة العربية وربْط المشـرق والمغرب». ثم إلتقيت بعد ذلك هواري بومدين في حاســـي مســـعود وتحادثتما. هل لي أن أعرف لماذا قلت هذا الكلام عن الجزائر وعلى ماذا إتفقتَ مع بومدين خلال إجتماع حاسي مسعود؟

وأجاب العقيد القذّافي: كل مواقفنا بعد الثورة كانت ترجمة للشـــعار الذي رفعناه وهو: قومية المعركة. إننا وحدويون لا نتأخر أبداً في التضـــحية من أجل الوحدة. الوحدة أملنا الكبير. الوحدة رائدنا. الوحدة طموحنا. ومنذ قمنا بالثورة أعلنَّا ذلك ولم نقل إننا مع تونس والمغرب والجزائر لأننا في المغرب. ولم نقل أيضـــاً إننا جزء من المشرق. نحن أمة واحدة تمتد من المحيط إلى الخليج. لقد إرتبطْنا بإتحاد مع مصر وسوريا لكن ذلك لا يعني أننا يجب أن نكتفي وننام على هذا المجد، يجب أن نســعى مع الجيران القريبيين منا والبعيدين لتوســيع رقعة الإتحاد. وإجتماعي بالرئيس هواري كان لهذا الغرض وقد قرّرْنا أن نجتمع مرة كل أربعة أشـــهر وأن يكون إجتماعنا دائماً على الحدود. ولقد بحثت مع الرئيس هواري في موضـــوع إنضـــمام الجزائر إلى إتحاد الجمهوريات العربية، لكن الجزائر ليســـت مســـتعدة بعد لدخول الإتحاد. إن الرئيس هواري يمثِّل العروبة في الجزائر ولا غبار عليه من هذه الناحية.

هل هناك أجنحة «داخل مجلس قيادة الثورة»

وقلت للعقيد القذّافي: للمناسـبة إن كلاماً كثيراً كان يتردد بإسـتمرار، ويتعلق بوجود أجنحة وفرقاء داخل «مجلس قيادة الثورة» الليبي. جناح يؤمن بالتعاون مع الجزائر ويعتقد أن وحدة المغرب العربي أقرب منالاً من الوحدة الشـاملة. وجناح يعتبر أن التعاون مع مصـر يجب أن يكون أبدياً. وجناح قُطْري يؤمن بالشـخصـية الليبية ويرفض تذويبها. هل يمكن أن توضح لي ذلك؟

رد العقيد القذّافي: لا أجد في أي حُكْم مجموعة منسـجمة مع نفسـها كمجموعتنا. إن أعضـاء «مجلس قيادة الثورة» الليبي وحدة متجانســـة متكاملة متفاهمة. إن الأســـرة يمكن أن تعيش في ظل أجواء وإتجاهات. كل منا يعرض رأياً ووجهة نظر، ويَحدُث أن كل رأي يناقَش وكل وجهة نظر تُعرض وأحياناً تأخذ المناقشـة من وقتنا الكثير ثم نلتقي. الجميع يلتقون حول موقف موحَّد. إن تركيبتنا فريدة في نوعها. لا نتعامل كرئيس ومرؤوســـين. كلنا أخوة.

كثرة الزواج... لماذا؟

قلت للعقيد القذّافي: إن الأمور التي تتطلب إيضـــاحات وتحديد مواقف منك كثيرة، لكن الوقت لا يســـمح. فنحن نتحدث منذ أكثر من ثلاث ساعات.

وقطع عليَّ كلامي قائلاً: فلنتحدث أيضاً.

قلت له: هنالك أمر أريد أن أستوضـحك إياه لكنني متردد. قلت: لأنه شخصـي. يتعلق بحياتك الشخصية. وما دامت حياتك الشخصية مُلْكاً لك فيجب ألاَّ أتطرق إلى هذا الأمر.

رد العقيد: فلنتحدث. حياتي الشخصية طبيعية وواضحة. متزوج. أُصلي وأصوم. أقوم بواجباتي كمسلم. مؤمن. لا أُدخن. لا أحتسي الخمر. أقرأ في المصحف كلما سمح الوقت، ودائماً خلال تأدية فروض الصلاة... ماذا غير ذلك؟

وقلت للعقيد: الحقيقة. أنني أريد أن أتوقف عند أمر واحد وهو الزواج. إن كلاماً كثيراً يقال عنك في هذا الشأن. يقال إنك مزواج وهذه صفة لا يتمناها لك الذين يأملون خيراً في تطلعاتك وثورتك.

وقال العقيد: هل هناك شيء آخر؟

أجبته: أبداً. هذه النقطة فقط.

وبدأ يتحدث في منتهى الهدوء. ق**ال: عندي زوجة واحدة الآن. وأنا من الذين يعارضون الزواج بأكثر من واحدة برغم أن الإسلام أباح الزواج بأربع نساء. والزواج يفقد معناه إذا كان الرجل متزوجاً بأكثر من واحدة. عندئذ لا تعود هنالك حياة زوجية طبيعية. هل هذا واضح؟**

وأجبته: واضح جداً.

ثم أكمل: **زوجتي الأولى طلَّقتُها.**

وقلت له: ولكن أبغض الحلال عندالله الطلاق. وأنت مسلم متدين.

رد قائلاً: لكل قضية ما يبررها.

زوجتي الأولى تزوجتُها من دون أن أراها (وهي الزوجة التي كان شهود الزواج فيها الرئيسان جمال عبد الناصر وجعفر نميري وهي التي رافقتْه في جولته إلى بعض العواصم العربية ومنها بيروت وكان رئيس لبنان آنذاك شارل حلو). تم الزواج وفقاً للتقاليد الليبية المحافظة. والدتي خطبت الفتاة. وأنا لم أرها إلاَّ ليلة الدخلة. والحقيقة أنني كنت لا أريد الزواج ولا أفكر في الزواج ولا وقت عندي لمثل هذه الأمور. كانت مشاغلي في تنظيم الضباط الأحرار تأخذ كل وقتي. وبدأ الأهل يقولون عني إنني متزمت. ووصل بهم الأمر إلى حد أنهم بدأوا يقولون وإنني متخوف من الزواج وعندي عقدة منه. قلت لوالدتي: إختاري لي فتاة وأخطبيها. تولت الوالدة المهمة وإختارت فتاة وتمت خطبتها وكان ذلك قبل الثورة بفترة. لم أر الفتاة أبداً. ولم أكن كالشبان العاديين يغرقون في أحلام ويمضون الوقت متلهفين للحظة التي سيصبحون فيها عرساناً. الأمر لم يكن يهمني أبداً.

لم أحلم، ولم أتلهف، فأنا منذ عشر سنين أعمل في تنظيم الضباط الأحرار وكنت أحلم باللحظة التي تقوم فيها الثورة وكنت متلهفاً إلى تلك اللحظة. كان التنظيم سرياً، وفي مثل هذا الجو من النشاط لا وقت للتفكير في أي شيء آخر. المهم إنني تزوجت بعدما تَحقق الحلم الكبير وقامت الثورة. الفتاة من عائلة محترمة. مثالية في أخلاقها. كانت تعمل مدرِّسة. بعد الزواج أكتشفتُ أن مزاجي لا يلتقي ومزاجها. لم تكن فتاة الأحلام المطلوبة. وفي مثل هذه الحال يصبح الزواج عبئاً ولا تعود الحياة الزوجية حقيقية، وتبعاً لذلك يصبح الإنتاج مشلولاً. حتى الزوجة يصبح مجنياً عليها لأنها لن تجد من زوجها تجاوباً.

وقلت للعقيد: ماذا يعني قولك أنها لم تكن فتاة الأحلام. وماذا تقصد بالمزاج؟

وأجاب: ما دمت لم تشاهد من قبل الفتاة التي ستصبح زوجة لك فإنه لم تكن لك حرية الإختيار. وعندما تزوجتُ كنت أتأمل في أن تكون الزوجة سمراء فإذا هي بيضاء.

فماذا تفعل حيال ذلك؟

ولكنها ليست هي المسؤولة؟

وقاطعني: نعم، الحق على التقاليد التي نأمل في أن تذوب في ظل المجتمع الثوري الجديد.

وسألتُه: وما هي بقية القصة؟

وأجاب: المهم إننا إكتشفنا أن حياتنا الزوجية لن تستمر ما دام مزاج الواحد منا لا يلتقي ومزاج الآخر. وإتفقنا بشكل ودي على أن نفترق. وقدَّر كل منا موقف الآخر.

وتم الطلاق بطريقة شريفة.

وقلت له: وإبنك محمد؟ كيف طلقتْها وقد أنجبت لك طفلاً؟

وأجاب: تم الطلاق في بداية الحمْل. لم أكن أعرف أنها حامل.

وسألتُه: هل تدفع لها النفقة وأين تعيش وأين إبنك؟

وأجاب: ليست في حاجة إلى النفقة. والطفل معها. وتزورها والدتي وأخواتي الثلاث بإستمرار.

وسألتُه: هل لك أخوة؟

وأجاب: أنا وحيد. لي ثلاث شقيقات فقط.

قلت: لكن الطفل طفلك، كيف يستطيع أب أن يعيش بعيداً عن طفل من لحمه ودمه.

الرئيس معمَّر القذَّافي مع العائلة: الزوجة صفية والإبنة الوحيدة عائشة والأبناء الثلاثة في جلسة عائلية تحت الخيمة.

أجاب: كل أطفال ليبيا هم أولادي.

قلت: هذه مشاعر عمومية. ولا أتصور أباً يستطيع أن يبتعد عن إبنه ولا يراه.

رد قائلاً باللهجة الليبية: حنشوفه لما نفضى.

وأجبته: أنك قاسي القلب.

ثم بدأ يحدثني عن زواجه الثاني.

قال: تزوجتُ للمرة الثانية وأنا ســـعيد في حياتي الزوجية برغم أنني كما ترى دائماً في مكتبي. ولا أفكر في الزواج من جديد.

* * *

بدأت أصـــوات المؤذنين من بعيد تدعو المؤمنين إلى تأدية صـــلاة الفجر. وإعتذر العقيد القذّافي لأنه يريد أن يصـــلِّي. وأعتذرتُ أنا لأنني أخذتُ من وقته الكثير. لكن الكلام كان ضـــرورياً. لقد تحدثْنا وتناقشْـــنا وتحاوَرنا أربع

ساعات. وكان العقيد القذّافي واضحاً إلى أبعد الحدود. منسجماً مع نفسه.

وغادرتُ مبنى «مجلس قيادة الثورة» وطلائع فجر جديد تطل على ليبيا الثورة، فيما العقيد خلع حذاءه وتوجه نحو القبلة... وبدأ يصلي الفجر.

نُشرت هذه الحلقة من الحوار في صحيفة «النهار» – لبنان

بتاريخ الأربعاء 17 نوفمبر/تشرين الثاني 1971